

المذكر

المذكر من مضعف العين ذكر، وذكر الشيء: جعله ذكراً أو أزال عنه الأنوثة، وذكر اللفظ: أزال منه علامة التأنيث، وقد تناول العلماء مفهوم المؤنث وأنواعه وعلاماته ووجوبه وجوازه وامتناعه وتغليب المذكر عليه، بيد أن بعضهم أوجز القول في المذكر، وبعضهم ترك الحديث عنه، وهذا مرجعه إلى أنه الشائع في الكلام والأصل فيه، وأن المؤنث فرع عليه؛ لخروجه عليه بزيادة في اللفظ أو بتخصيص قرينة أو بتعيين لفظ له، والمذكر أخف من المؤنث؛ لأنه أسبق، فزيدت فيه علامة التأنيث، وليست للتذكير علامة.

والمذكر في الإنسان والحيوان صاحب الذكورة وهي خلاف الأنوثة، وهي شمائل بالمذكر في الإنسان والحيوان، ومن ثم ليست في غيرهما بحقيقة، فما لم يكن إنساناً أو حيواناً كان التذكير فيه باعتبار لفظه الذي أشبه لفظ المذكر.

واكتفى بعض العلماء بأن يعرفوا المذكر بأنه ضد المؤنث، وبعض المعاجم الحديثة نقلت ذلك عن القدماء، ويقولون: الذكر خلاف الأنثى، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] (١).

وقال بعضهم: المذكر ما خلا من العلامات الثلاث التاء والألف والياء (٢)، وهذا لا يستوفي مفهوم المذكر، وأرى أن المذكر ما تحققت فيه شمائل الذكورة التي تميزه عن المؤنث، وهذا يقابل مفهوم المؤنث الذي يعرف بأعرف خصائصه، فقالوا: المؤنث ما يلد أو يبيض أو ما له فرج، والفرج في اللغة أصله للمؤنث، ثم أطلق

(١) ارجع إلى: اللسان، مادة ذكر، ولم أجد فيه تعريفاً له، والمفردات للراغب، مكتبة الأنجلو: ذكر: "والذكر ضد الأنثى"، ص ٢٦٠، والقاموس المحيظ، للفيروز آبادي، وجاء في المعجم الوسيط: المذكر ضد المؤنث، ذكر، ج ١/٣٢٥، ولم يعرفه ابن الحاجب صاحب الكافية، ولم يذكره الاسترأبادي في شرحه الكافية. ارجع إلى: شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين ابن الحاجب، المكتبة التوفيقية، ج ٣/٣٨٩.

(٢) الكليات، الكفوى، تحقيق عدنان والمصرى، ط ١٩٤١ هـ، ١٩٩٨ م، مؤسسة الرسالة، ص ٦٩٨.

على قُبَل الرجل تغليباً^(١). واتفق العلماء على أن المذكر أصل والمؤنث فرع عليه، ومن ثم لم يحتج المذكر إلى علامة؛ لأنه يفهم عند الإطلاق؛ لأنه الأصل، والتأنيث ثان عليه، ومن ثم وضعت له علامة وخصص له بعض الألفاظ، والدليل على أن المذكر أصل أمران:

الأول - أن بعض الألفاظ يستوى فيها المذكر والمؤنث، وسوف نبين ذلك.
والثاني - أن المؤنث وضعت له علامة تميزه عن المذكر، ليعرف بها وهي زائدة في اللفظ^(٢)، والمذكر ليست له علامة، فهو أخف من المؤنث في الكلام.
والأصل في الصفات التذكير بدليل زيادة علامة التأنيث في وصف المؤنث نحو: قائمة، نائمة، وذلك للتفريق بين المذكر والمؤنث، وكل ما كان على فاعل من صفة المؤنث مما لم يكن للمذكر، فإنه لا يدخل فيه تاء التأنيث نحو: امرأة حائض وعافر وطالق وطامث، لا تلحق بها التاء؛ لأنها لا تكون إلا للمؤنث فانتهى اللبس. وتبقى التاء كذلك فيما استوى فيه المذكر والمؤنث نحو: علامة وربعة وهمزة ولُمزة، وتبقى التاء في المثني نحو: بقرتان وقمرتان وقائمتان، ثبتت التاء؛ لأنها لو حذفت التيس بتشية المذكر، فالمثني المذكر والمؤنث يتساويان في علامة التشية خلافاً للجمع فلجمع الذكور علامة تخالف جمع المؤنث، وتزداد التاء في الأفعال المسندة إلى مؤنث حقيقي؛ لتكون دليلاً على أن الفاعل مؤنث، وإن كان خلواً من علامة التأنيث كالمؤنث المعنوي نحو: قامت سعاد، تزداد في المعنوي عند التصغير، أذينة، هنيذة.

وتحذف للتبنيهِ على الفاعل المذكر الذي تسمى بلفظ المؤنث نحو: مع قام

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، المكتبة التوفيقية، م٤٩٨/٢، والقائل الزمخشري، والمذكر والمؤنث، السجستاني، تحقيق حاتم الضامن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١/١٤١٨هـ، م١٩٩٧، ص٣٦. الفرج الشق، وغلب في القُبَل والدُّبُر معاً.

(٢) ارجع إلى: شرح المفصل، م٤٩٨/٢، والمذكر والمؤنث، السجستاني، ص٣٦.

حمزة، ومات طلحة، فإن وقع لفظ المذكر علماً لمؤنث وجب تأنيث الفعل مع نحو: نجاح وسماح وإحسان، يقال: قامت إحسان، ونامت سماح، التأنيث فيها واجب؛ ليكون دليلاً على أن اللفظ مؤنث، فقد خص به في التسمية وليست على الأصل المذكر، خلافاً لقولنا: قام حمزة، ونام طلحة، يجب التذكير؛ ليعرف أنه لمذكر، وإحسان وإنعام ونجاح مصادر وصارت أعلاماً لمذكر ومؤنث، ويجوز تذكير المصدر وتأنيثه، ولكنه يلزم التأنيث إن تسمى به مؤنث .

فما كان لمؤنث تزداد في فعله التاء، وما كان لمذكر لا تلحق بفعله التاء، وهذا عام في الألفاظ التي تعم أفراد الجنس نحو: غملة ونحلة وعنكبوت وعقرب وحمامة. فما كان منها لمذكر عين له لفظ المذكر، نقول: حمامة ذكر، وما كان لمؤنث عين له لفظ المؤنث: حمامة أنثى، وقد ذهب أبو حنيفة إلى أن غملة سليمان كانت أنثى، قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [النمل: ١٨] (١)، والعلماء أجازوا الوجهين، ورجحوا التأنيث مراعاة للفظ، وسنبين ذلك في موضعه.

والمذكر يراد به المذكر في الأعيان والمعاني والألفاظ، والتذكير يراد به نزع ما يدل على التأنيث، والمؤنث خلافه يكون بزيادة في لفظ المذكر للدلالة على تأنيثه، وهذا من قوهم :

ذَكَرَ الكلمة أو أَنتَهَا، وأذكَرت المرأة: ولدت ذكراً فهي مُذْكَر، وأذكَرت المرأة تشبهت بالذکر، وامرأة مِذْكَار: تلد الذكور، خلاف مِئْناث (٢).

وقد وقع اختيارنا على " المذكر والمؤنث " لأننا بصدد بحث التذكير والتأنيث في الألفاظ، وتأسينا في ذلك بعلماء الأمة قديماً وحديثاً.

(1) الكلبيات، أبو البقاء الكفوي.

(2) ارجع إلى: لسان العرب: ذكر، والقاموس المحيط: ذكر.